تتمة سيرة الاستاذ الامام

حياته في المنفى

لا تكمل تربية الرجال ، الا بمكافحة الاهوال ، فمعادن النفوس لا تصفو من شوائب التخلف في الخلق ، وتتمكن من مقعد الصدق ، الا بعد أن تعرض على نيران الفتن ، وتذاب في بوادق المحن ، « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » ولذلك يبتلي الله سبحانه وتعالى عباده المصلحين بفتن المفسدين ، ليعلم الصابرين والصادقين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، فالفتن والكوارث تمحص نفوس المؤمنين بالله الساعين على سننه فتزكيها وتعليها ، وتمحق الكافرين بنعمه والمنحرفين عن سننه فتدسيها وتغنيها وقد اتهم فقيدنا في الثورة بما هو بري منه ، وفتن المنافقون يومئذ بأخبار السوء عنه ، حتى أنذر بالاعدام ، ثم استبدل ذلك بالنفي ثلاثة أعوام ، فما حقد علي واش ولا عذال ، بل كتب من السجن الى صاحب له يعجب من كيدهم ثم قال ،

« ولقد علمت لأفعلن المعروف ، ولأغيثن الملهوف ، ولأنقذن الغارق في حفرة الغدر ، ولآخذن يد المتضرع من ضغط الظلم ، ولأتجاوزن عن السيئات ، ولاتامين جميع المضرات ، ولابين لقومي أنهم كانوا في ظلمات يعمهون * ولأظهرن الصديق في أجمل صوره ، ولأجلونه للناس في أبهج حلله ، ولاثبتن لهم ببرهان العمل انه فكرك الثاني في رؤوس الواحدة ، وجسمك الآخر في حياتك المتحدة ، وأنه صاحبك اذا طال ليل الكدر ، ومصباحك اذا غسق دجى الهموم ، تستضيء به في حل ما انعقد ، وتستعين بقوته في تيسير ما عسر ، وتذهب به إلى أوج المعالي والناس من

معجزات الصديق يتعجبون * — الى ان قال — لكني أقول لكم ان هذه المولدات المريبة سوف تنسى ، وان هذا الشرف سوف يرد ، ولئن أبت طبيعة هذه الأرض بخستها ان يكون لها من عوده نصيب فليعودن في بلاد خير منها ، ولأجذبن الى المجد احبتي ومن الى المجد ينجذبون * كل ذلك ان عشت وساعدتني صحة الجسم ولا أطلب شيئا فوق هذين سوى معونة الله الذي عرفه بعض الناس وبعضهم له منكرون *» والكتاب طويل وسننشره برمته في تاريخ التقييد

وله قصيدة في الثورة نظمها في ظلمة السجن أيضا تزيد على مئة بيت وقد مرض في آخرها بما أبانه في آخر كتابه هذا من صدق المزعمة والثقة بنفسه والاعتماد عليها في مقابلة الزمان بعد الاتكال على الله تعالى وكونه لا يخاف شيئا يقطع عليه طريقه في عمله لوطنه وأمته الا الموت قال

وأحفظ الدهر أني لا أشاكله ... فيما تبطن من غش وتمويه
أحارب الدهر وحدي ليس ينصفني ... الا الثبات وحسبي من أصافيه
تعلم الدهر مني كيف يطعنني ... فخاب ظنا وخانته مزاكيه
وليس يعجزني عن كسر فيلقه ... الا المنايا تناجيني فتحميه
ان المنايا سهام الله سددها ... وليس يخطئ سهم الله مرميه

أرأيت من كانت له هذه النفس العالية ، والمزعمة الماضية ، أيحط من قدره ان يتهم بالسياسة فيلقى في غيابة السجن ، أم يطوى نورا استعداد الاخراج والنفي ، ؟ كلا

(عمله في اوربا بمصر والاسلام)

سافر رحمه الله تعالى الى سوريا فأقام فيها نحو سنة ثم سافر الى أوربا

على اتفاق بينه وبين استاذه وصديقه السيد جمال الدين لأجل الاشتغال بما كان يسمى « المسألة المصرية » فأقام فيها عشرة أشهر معظمها في باريس حيث أصدرا جريدة العروة الوثقى وكانا أسسا لها جمعية من مسلمي الهند ومصر والغرب وسوريا غرضها السعي في جمع كلمة المسلمين وايقاظهم من رقادهم وإعلامهم بالاخطار المحدقة بهم وإرشادهم الى طريق مقاومتها

كان السيد جمال الدين مدير سياسة الجريدة والشيخ محمد عبده المحرر الاول لها، على انه لم يكن لها محرر سواه الا من كان يترجم بعض الأخبار من الجرائد الاوربية ويلقيها الى الشيخ يصححها وينفخ فيها من روح العبرة ما ينفخ . كان السيد منبع الافكار والآراء السياسية التي تنشر في الجريدة لاسيما ما هو من مبتكرات الانكليز في الهند وغيرها وكان الشيخ يبرز هذه المسائل في صورة تروع الابصار وتحرك الأفكار ويتصرف فيها ما شاء

أما المقالات التي كان يكتبها في الاجتماع والوعظ والاخلاق والسياسة الاسلامية فقد كانت من الآيات البينات التي لا يكاد يوجد في كلام البشر ما يساويها في البلاغة والتأثير حتى كان علماء المسلمين وعقلاؤهم في كل قطر يتوقعون ان تحدث تلك الجريدة انقلابا عاما في المسلمين : حدثني الثقة عن السيد سلمان افندي الكيلاني نقيب بغداد انه كان يقول كلما قرأ عددا من جريدة العروة الوثقى : يوشك ان يحدث انقلاب في بعض بلاد الاسلام قبل ان يصدر العدد الذي بعد هذا . والسيد سلمان هذا كان من بقايا زعماء المسلمين يخضع له مئات الالوف من العرب والعجم . وسمعت شيخنا الشيخ حسينا الجسر الدائم الطرابلسي الشهير يقول : لو طال الزمان على جريدة العروة الوثقى لأحدثت نهضة جديدة للمسلمين وانقلابا عظيما

أقول وهي هي التي نقلتني من طور الى طور وحببت الي صاحبها حتى جذبني الحب الى مصر ووصل حبل ودي بالاستاذ الامام وحملني على نشر حكمته ، وإعلان دعوته ، فقد كنت مرة أبحث في أوراق والدي العتيقة وأتصفح مافيها من الجرائد المطوية فعثرت على أعداد من العروة الوثقى فطفقت أقرأها المرة بعد المرة وهي تعمل في نفسي فعلها تهدم وتبني ، وتمد وتفني ، وما كان وعدها الا حمقاء ولا تمنيها الا رجاء وأملا ، أحدث إصلاحا وعملا ، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أرشدني ، وأقيم عليه بناء عملي وأملي ، وأما الاستاذ الأول فهو كتاب إحياء العلوم للامام الغزالي الذي كان أول كتاب ملك عقلي وقلبي . أنشأت بعد ان ظفرت بتلك الاعداد أبحث عن اخواتها في طرابلس فكنت أجد عند الرجل العدد وعند الآخر العددين فأنسخ ماأجد ثم علمت ان الشيخ حسينا الجسر احتواها كلها ومن عنده أتممت استنساخها . وأكبر أثرها عندي أنها هي التي وجهت نفسي للسعي في الاصلاح الاسلامي العام بعد أن كنت لا أبكر الا فيمن بين يدي وأرى كل الواجب علي أن أظهر في دروسي العقيدة الصحيحة والاخلاق الفاضلة وآمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأنفر من المعاصي وأنا لا أعلم سبب الفساد الذي دخل في العقائد والاخلاق مادخل ، ودفع المسلمين الى مزالق الزلل ، حتى هدتني العروة الوثقى الى المناشيء والعلل ،

لم تكن خدمة الشيخين للاسلام في أوربا قاصرة على الوعظ والارشاد بل كان لهما سعي لدى فرنسا وانكلترا نفسها في المسألة المصرية ومسألة السودان وكان سعيا لو ظهر غريبا . وكان منه إقناع اناس خارجية انكلترا بعد فصل السودان عن مصر وسفر الاستاذ الامام الى بلاد كثيرة لتوثيق

للعروة والتمهيد للعمل أن يترك السودان لأهله ويعدلوا عن محاولة فتحه، وكان لهما في ذلك آمال، ومقاصد ذات بال، وقد كان تقرر هذا وما حال دون إعلانه رسميا إلا موت محمد أحمد مهدي السودان، ولو شرحنا الوسائل التي اتخذها الشيخان لذلك لطال في براعتهما لثلاث، لأنكر ان هذه الأعمال السياسية كان السيد جمال الدين هو المقترح لها ولكن كان فقيدنا عضده وساعده ولسانه وقلمه ولولاه لما استطاع المضي فيها على أن فقيدنا كان بما جرى له ولشيخه مع توفيق باشا في مصر قد ضعف أمله في الاصلاح السياسي ووجه همه الى الاصلاح القومي في التربية والتعليم. حدثني انه قال للسيد في أوربا إن هذه السياسة لا يأتي منها خير لان تأسيس حكومة اسلامية عادلة مصلحة لا يتوقف على زلة المواقع الاجنبية فقط فخير لنا ان نذهب معا الى مجاهيل الارض لا سلطان للسياسة فيه ونحاول تربية افراد على ما نحب فاذا تيسر لنا تربية عشرة رجال يبذلون انفسهم لخدمة الامة لا يصدهم عن ذلك الجثوم في وطن، ولا الاخلاد الى الاهل والسكن، بل يكون همهم الاكبر الضرب في الارض لتربية مثلهم على ما ربوا عليه فلا يبعد ان يربي الواحد منهم عشرة فيكون لنا في زمن قريب مئة رجل يعملون للاسلام والرجال هم الذين يعملون كل شيء. فقال له السيد انما أنت مثبط قد شرعنا في عمل فلا بد من المضي فيه حتى يتم أو نعجز

كان لذلك السعي في انقاذ مصر والسودان أو السودان فقط طريق في ذلك الوقت لان الاحتلال الانكليزي كان في نظر أوربا كلها موقتا ولم تكن قدم انكلترا راسخة في مصر. وبعد ان رسخت القدم وتمكنت السلطة من البلاد قام بعض الأحداث يكتبون ويخطبون ويقولون ما يبدأ أمامه ما تاله وكتبه

الشيخ في وقته لقوا وكانوا يعدون أنفسهم بذلك خدمة مصر ومتقدميها ويعدون مثل الفقيد بالتقصير في خدمة الامة والوطن على انه هو المصري الوحيد الذي تدرج على استخدام السلطة الانكليزية في مصر لخدمة مصر والاسلام بعد ان صارت الخدمة بمقاومتها من المحال، ولو كانت الخدمة النافعة هي مقاومة القوة بالكلام والكتابة لكانت العروة الوثقى أخرجت الانكليز من مصر قبل ان يتمكنوا منها

(مناظرة الفقيد لوزراء الانكليز في المسألة المصرية)

ذهب الفقيد الى لندن في تلك الاثناء وتكلم مع وزراء الانكليز في المسألة المصرية ومسألة السودان وفي المدلية المصرية وغير ذلك ونشرت الجرائد الاوربية بعض محادثاته معهم. نذكر هنا محادثة نشرت في العدد الرابع عشر من العروة الوثقى الذي صدر في ٢٢ شوال سنة ١٣٠١ - ١٤ اغسطس سنة ١٨٨٤ تحت عنوان (هؤلاء رجال الانكليز وهذه أفكارهم) والكلام بلسان السيد قال:

« تأخر صدور الجريدة أياما للضرورة ماسسنا من ضعف في المزاج مع مصادفة رداءة الهواء في البلاد الفرنساوية هذه الايام والحمد لله على زوال المانع. الا اننا مع ذلك لم نقصر في أداء الواجب من العمل الذي قمنا به في المدافعة عن حقوق المسلمين فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبعنا عليه ونرجو ديان السماوات والارض ان نموت في هذا السبيل وان نبعث في زمرة السالكين فيها.

رأينا إن يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الاول لهذه الجريدة) الى لوندرا إجابة لدعوة من يرجى منهم الخير لمصر ومن يؤمل فيهم صدق

النية في رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية ، وليستكشف مناصب الفخاخ السياسية التي ماصرت عليها قدم شرقي الاسقطت منها فيما يعسر الخلاص منه ، وليسبر أغوار المطامع الانكليزية التي لا يدرك منتهاها تلك المطامع التي بعد ما التهمت ثلث المسكونة وطوقت كرة الارض بالفتح والاستملاك لم تزل في مد لا جزر معه ولا يزال رجال حكومة بريطانيا في قرم شديد لابتلاع ممالك العالم وكلما أساغوا قطرا طلبوا اليه آخر ، وليستطلع خفايا المقاصد من أثناء الافكار وغضون الاقوال ، وليقف على الطرق الملتوية بين أولئك السياسيين في التلوين وليتبين كيف يتمكنون من ابراز محاسن الاعمال في صفات رديئة يستنكرها كل ناظر اليها واظهار السيئات في ألوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان قسط يتميز به الزيف من النضار الخالص حتى لا يغتر الجاهل ولا يزل العالم . لاقى (محرر الجريدة) كثيرا من رجال السياسة الانكليزية وأنفذ الناس رأيا فيها وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة في الاحوال المصرية ومن محادثاته الابتدائية ما نشر في بعض الجرائد الانكليزية كجريدة «البال مال كازيت» وجريدة «النزوت» التي يحررها الناب الشهير مستر لا بوشير وجريدة «التيمس» وسيذكر شيء مما جرى بينه وبين بعض الاكابر من رجال الحكومة الانكليزية مما يستفيد منه الشرقيون عموما والمصريون خصوصا وسنأتي جريدتنا على بعض ما استنبطه من فحوى أقوالهم وأدركه من مرامي أفكارهم . أما الآن فنأتي على جملة واحدة من محادثة طويلة كانت بينه وبين اللورد (هرتنكتون) وزير الحربية الانكليزية ليأخذ كل مصري منها حظه ويصيب كل شرقي سهمه ويقف جميعهم على مواقع الشرقيين من

أنظار رجال الحكومة الانكليزية.

سأل اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانكليزية: ألا يرضى المصريون أن يكونوا في أمن وراحة تحت سلطة الحكومة الانكليزية أو لا يرون حكومتنا خيرا لهم من حكومة الأتراك وفلان باشا وفلان باشا؟ فأجاب الشيخ (محرر جريدتنا) كلا إن المصريين قوم عرب وكلهم مسلمون إلا قليلا وفيهم من محبي أوطانهم مثل ما في الشعب الانكليزي فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين والجنس ولا يصح لحضرة اللورد وهو على علم بطبائع الأمم ان يتصور هذا الميل في المصريين: فقال الوزير هل تنكر ان الجهالة عامة في أقطار مصر وان الكافة لا تفرق بين الحاكم الاجنبي والحاكم الوطني وان ما ذكرته من التفرقة من سلطة الاجانب انما يكون في الأمم المهذبة؟ فأخذت الشيخ حدة تليق بعلم لا يتهاون في أداء ما فرض الدين وأوجبه حقوق الملة وقال: أولا ان التفرقة من ولاية الاجنبي ونبذ الطبع لسلطته مما أودع في فطرة البشر وليس بمحتاج للدرس والمطالعة وهو شعور إنساني ظهرت قوته في أشد الأمم توحشا كالزولوس الذين لم تمسوا ما كابدتموه منهم في الدفاع عن أوطانهم. وثانيا ان المسلمين مهما كانوا وعلى أي درجة وجدوا لا يصلون من الجهل الى الدرجة التي يتصورها الوزير فان الامين منهم ومن لا يقرأون ولا يكتبون لا يفوتهم العلم بضروريات الدين ومن أجلاها وأظهرها عندهم ان لا يدينوا لمخالفيهم فيه وان لهم في الخطب الجمعية ومواعظ الوعاظ في مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الابتدائية وان جميع ما يتلقونه من النصائح الدينية يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم ويحدث فيهم من الاحساسات

الشريفة الانسانية مالا يحطون منه عن سائر الأمم خصوصا المصريين الذين ينطقون باللسان العربي ويفهمون دقائق ما أودع في ذلك اللسان وهو لسان دينهم . وثالثا إن أرض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم والآداب الجديدة على نحو ما هو موجود في بلاد أوروبا وأخذ كل مصري نصيبا منها على قدره ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها قارئون كاتبون والاخبار العمومية توصلها إليهم الجرائد العربية ومن لم يقرأ يستقي الاخبار من القارئين فبهذا أضافوا إلى الشعور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشأها التهذيب العمومي قوي بها الميلان الاولان ولا أظنهم يخالفون في ذلك سائر الأمم : اه

«أين العلماء الاذكياء أين الجهلة الاغبياء أين الآباء الاعلياء أين السفلة الأدنياء ليرى كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الانكليزية كل ذي شكل إنساني وصورة بشرية يدرك ما وراء هذه الاستة وما تشف عنه هذه الظنون المجيبة .

«هذا الاورد هرتكتون وزير الحربية الانكليزية يظن ان الجهل بلغ من المسلمين عموما والمصريين خصوصا الى حد سلب عنهم كل إحساس إنساني وانهم في حضيض من الجهل لا يميزون فيه بين القريب والغريب ولا بين العدو والحبيب

هذا دليل على ان الانكليز (لا من أنار الله بصيرته ووفقه لفهم الصواب) يعتقدون ان الأمم الشرقية والأمة المصرية في درجة الحيوانات السائمة والدواب الراعية لا تألم الا من الجوع وفواعل الطبيعة المادية وليس لها من الاحساس إلا نوع من الانفعالات البدنية ولا تعرف من شؤونها

الإنابة تقوم حياتها الحيوانية فتألف راكبها والعامل عليها ومستخدمها في أي عمل من الاعمال الشاقة مادام يقدم لها طعاما وشرابا وإنها تهش وتبش لرؤية من يقدم لها غذاءها وعشاءها وإن كان من أشد البلاء عليها بما يسومها من مشاق الأعمال فاذا عجزت عن العمل ذبحها وتغذى بلحومها. الخ الخ

ضاقت الحرية الانكليزية الواسعة ان تسع جريدة العروة الوثقى فمنعتها من الهند ومصر واشتدت الحكومة الانكليزية في إعنات من تصل اليهم وفرضت الحكومة المصرية غرامة وعقوبة على من ترى عنده فكان ذلك ماذا من الاستمرار في اصدارها وقد كان صدور آخر عدد منها (وهو الثامن عشر) في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١ - ١٦ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ثم سافر الفقيد الى تونس فأقام فيها أياما ثم سافر الى بلاد أخرى مستكرا فوثق عقود العروة السرية التي كان من أغراضها ما أشرنا اليه ولو ذكرناه مرتبا مفصلا لكان مثارا للعجب من ركوب هذا الرجل مع استاذه الصعاب واقتحامهما الاخطار في خدمة هذه الأمة التي كانت ولا تزال كالمريض الاحمق يأبى العلاج لأنه علاج وان كان سهلا سائغا، ويمقت حكيمه وطبيبه وان كان برا رحيما، فليحفظ القارئون هذا الايجاز ليذكروه عندما يطلعون في تاريخه الى سلوكه الاخير في مصر إعلان رأيه بتحتيم مسألة المحتلين والاستفادة من حريتهم وحبهم للعمران ليعلموا انه هو عين الحكمة التي اختبرت بعد مساع جليلة، وتجارب طويلة،

عمله في البلاد السورية

وبعد الاخفاق في ذلك العمل السري، دون ذلك الهدي النبوي، ألقى عصا السير في بيروت أعظم ثغور سوريا وأقربها من العمران فأقبل عليه

أهل العقل والفضل ، وأرباب الذكاء والنبل ، يستفيضون منه ضياء الحكمة ، ويتلقون هدي الحكماء والأئمة ، فكانت داره مدرسة عامة يؤمها الاذكياء وعشاق المعارف ، من جميع الملل والطوائف ، ومما كان يقرأ عليه فيها السيرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، وكان يقرأ التفسير في الجامع الكبير وفي جامع الباشورة لا يلتزم فيه كتابا وإنما يقرأ في المصحف وفق ما يفيض الله على قلبه وكان الناس يقبلون على درسه إقبالا لم يعرف في تلك البلاد لأحد من قبله حتى حسد النصارى عليه المسلمين فكانوا يبعثون اليه زرافات ووحدانا ويقفون بباب المسجد يعدون أعناقهم ويشخصون بأبصارهم ويصيخون بآذانهم لعلهم يلتقطون شيئا من تلك الدرر . ثم إنهم استأذنوه في دخول المسجد والجلوس في ناحية من حلقة الدرس فأذن لهم « فأجره حتى يسمع كلام الله »

وفي أول سنة ١٣٠٣ دعي إلى التدريس في المدرسة السلطانية لإحياء اللغة والدين فيها فلبى ولم يكن في المدرسة من العلوم العربية الا مبادىء النحو والصرف وما تسميه الترك « علم حال » وهو ما يلقن للولدان من أحكام العبادات . فلما دخل المدرسة أدخلها في طور جديد كما كان شأنه في عامة أعماله يدخل في العمل مرءوسا فيكون في الواقع رئيسا . ذلك انه أصلح إدارتها بالاتفاق مع مديرها ووضع قانونا جديدا (برو جرام) للدروس وزاد في العلوم التوحيد ومعاملات الفقه والتاريخ الاسلامي والمنطق والمعاني والانشاء زادها لنفسه فكان هو الذي يدرسها حتى كانت دروسه تستغرق عامة النهار . وكانت دروسه كلها للتلاميذ على نحو ما ذكر في رسالة التوحيد وأمالي مختلفة تتغاير بتغاير طبقاتهم ... في أسلوب لا يصعب تناوله ، وان

لم يعهد تداوله» إلا معاملات الفقه فكان يقرأ فيه مجلة الاحكام العدلية التي يحكم بها في المحاكم الشرعية . وكان يكلف تلاميذ الانشاء حفظ شيء من نهج البلاغة وديوان الحماسة والالفاظ الكتابية ويشرحه لهم . وكان له هم عظيم وعناية تامة بملاحظة آداب التلاميذ في المدرسة حتى إنه كان يزورها ليلا لأجل ذلك . وقد تخرج على يديه نابغة هي الآن تخدم البلاد بغيرتها واستقامتها، وعرفانها ونباهتها،

ثم إنه في سيرته كان مربيا للجماهير الذين يترددون عليه فقد كان يجلس اليه الغني والشعبي والدرزي والنصراني واليهودي فيوسع صدره للجميع ويعامل كل واحد بالأدب الذي يليق به لا يؤذي جليسا ولا يغمط فضل مذاكر ولا مناظر على أنه لم يكن يقول غير ما يعتقد سواء كان القول في الدين أو في العلم أو في العادات والأمور الاجتماعية فكان رضي الله عنه نسخة كاملة من رجال السلف في التسامح والتساهل وجمع الكلمة واحترام العلم وأهله كما وصف في كتاب (الاسلام والنصرانية) وقد أدهش أهل الفضل بعلمه وأدبه وبلاغته لا سيما في الخطابة الارتجالية التي لم يكونوا يعهدونها

وكان هنالك يشتغل بالتأليف فقد نقل إلى العربية رسالة الرد على الدهريين أو المقابلة بين الايمان والكفر في العمران التي كتبها السيد جمال الدين باللغة الفارسية . وشرح كتاب نهج البلاغة ومقامات بديع الزمان الهمذاني . وقد أقبل الناس على هذه الكتب وانتفعوا بها حتى انها طبعت مرارا . وكان يكتب المقالات النافعة في الجرائد وسننشر ما عثرنا عليه منها في تاريخه . ولم يكتف بهذا الاصلاح المعنوي بل كان يسعى لدى الحكومة في إصلاح البلاد الاداري فوضع في ذلك لائحة قدمها للوالي

وستشرها في تاريخه أيضا وكتب لائحة أخرى في الاصلاح الديني وقع عليها بعض الوجهاء وقدمت بواسطة الوالي الى السلطان . وكان قد جال في أرجاء الولاية واختبرها أتم الاختبار

عوده الى هذه الديار * وما استفاده من الاسفار

وفي سنة ١٣٠٦ عاد الى القطر المصري وقد كمل تهذيبه بالاسفار ، وركوب الاخطار ، ولذلك كان يسافر بعد ذلك في أكثر السنين مختارا كما كان يكرر المطالعة والمدارسة من رغبة ، بعد أن ألزم بالدرس أولا بالقوة ، وقد كتب عن تأثير الاسفار في نفسه مانصه :

«أما الاسفار الى البلاد العثمانية ومعاشرة كثير من المسلمين غير مسلمي مصر فقد كان من نتائجها عندي أني عرفت حق المعرفة أن مرض المسلمين نشأ من أمرين الأول الجهل بدينهم ، إبداع ما ليس منه ، إغفاله به واختلاط ماهو من الدين بما ليس منه حتى صار ماهم عليه دينا أجنبيا عن أصل الدين الاسلامي الطاهر الرفيع . والامر الثاني استبداد الحكام الظالمين من المسلمين في جميع أقطار الارض

«وقد سافرت بعد ذلك مرات الى أوربا وأفريقيا فكان أثر الاسفار في بلاد المسلمين زيادة البصيرة في ذلك الذي عرفته لأول الامر ، وأثر الاسفار في أوربا قوة الامل في إصلاح أحوال المسلمين فما من مرة أذهب الى أوربا الا وتجدد عندي الامل في تغيير حال المسلمين الى خير منها وذلك باصلاح ما أفسدوا من دينهم ، وتشجيع عزائمهم الى معرفة شؤونهم ، وامتلاك ناصيتها بأيديهم دون افراد ظلمتهم . وهذه لآمال وان كانت تضعف في نفسي عند ما أعود الى ديارى لكثرة ما ألاقي من العنت

وشدة ما أصادف من المصاعب وسوء ما أرى من انصراف المسلمين عن النظر في منافعهم وشدة عداوتهم لانفسهم وقوة رغبتهم في تمكين ظالميهم من رقابهم وحبهم في الاستعباد لهم لغير سبب معقول ، لكني متى عدت الى أوربا وسكنت بها شهرا أو شهرين تعود الي تلك الآمال ، ويسهل علي تناول ما سكنت أعده من المحال ، ولا تسألني عن السبب في ذلك فاني لا أستطيع تعليله ولكن هذا ما تحدثه الأسفار في نفسي » اه

أقول والمتبادر الى الذهن ان السبب في ذلك هو ما يسمى في العرف الآن بتأثير الوسط أي البيئة من المكان والمكين لأن كل انسان يحل في مكان ويشاهد حال قوم لابد ان يتأثر بشيء مما هم عليه بحسب استعداده وما وجهت اليه نفسه . وبلاد أوربا قد ارتقت ارتقاء عظيما في العلوم والصناعات والكسب والسياسة وغير ذلك فمن سافر اليها وكان من همه التجارة يزداد معرفة بطرقها ونشاطا في عملها ومن كان همه غير ذلك يتأثر بارتقاء القوم فيه فتنهض همته اليه وتاهيك بعلو كعب القوم في خدمة أمتهم ، وإعلاء شأنها بهم ، وما يبذلون في هذه السبيل من الاموال ، وما يركبون لها من الاهوال ، فمن يرى ما هم عليه من العزة والسيادة ، وهو يعلم ما كانوا فيه من الضعة والمهانة ، فهو جدير بأن يكبر أمله في قومه ، ولا ييأس من غده في يومه ، وكان تغمده الله برحمته يقول لي عند ما يريد السفر الى أوربا : اني أذهب لأجدد نفسي : أي فقد أخلقها معاشرة الكسالى واليائسين . وقد توجهت همته في هذه السنين الأخيرة لزيارة الشعوب المسلمة فبدأ بزيارة تونس والجزائر وكان عازما على زيارة الهند وايران وقزان والقوقاس في هذه السنة وما بعدها فصرفه المرض عن عزمه في هذا العام ، ثم قطع آماله كلها الحمام ،

سيرته في القضاء الاهلي

لما عاد من سوريا الى مصر تسابق العظماء الى توفيق باشا في طلب العفو عنه فكان من الشافعين بعض الاسرة الخديوية ومختار باشا الغازي واللورد كرومر ولم يكن أحد منهم يعرفه من قبل معرفة شخصية ولكنهم سمعوا بفضله فتفضل لكل منهم جميله وعفا عنه الامير وهو يعلم انه كان خصما للثورة العسكرية وإن كان روحا مدبرة لتلك الحركة الفكرية وأن الحكم عليه لم يكن عادلا ولذلك قال كما روى الثقة المفيد ما عفوت عن أحد عفوا كان أشبه بالاعتذار من هذا العفو : ولكنه كان يخاف أفكاره السياسية وميله الى تربية ملكة الاستقلال في الامة ولذلك أمر بأن يعين قاضيا في المحاكم الاهلية فلما نمي الخبر الى الفقيد امتعض وقال إنني لم أخلق لأكون قاضيا أقول حكمت على فلان بكذا وعلى فلان بكذا وانما خلقت لأكون معلما وقد جربت نفسي في التعليم فنجحت ثم طلب من ناظر الداخلية أن يشفع له عند الامير باستبدال التدريس في مدرسة دار العلوم بالقضاء وقال انني أعلم انه لا ارتقاء في التدريس وانني ارتقي في القضاء ولكنني لا احبه فلم يرض توفيق باشا وقال انني لا أحب ان يربي لي التلاميذ على أفكاره السياسية فرضي الفقيد بالقضاء وما زال يرقى فيه الى ان بلغ أعلى درجة منه

وقد كان قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم وان شئت قلت القاضي المجتهد لا المقلد ذلك أنه لم يكن يحكم بظاهر عبارة القانون وتطبيق الوقائع عليها بادي الرأي بل كان يتحرى اظهار الحق واصابة العدل في القضايا فان انطبقت على القانون والا عمد الى الصلح وكائن من قضية خالف فيها القانون عمدا حتى وثق به بعض حساده الواقفين على ذلك

وذكر شيئا من مخالفاته هذه فسأله المستشار القضائي السابق (مستر سكوت) عن حقيقة ذلك فقال هل العدل وضع لأجل القانون أم القانون وضع لاجل العدل ؟ قال المستشار بل القانون وضع لأجل العدل والعدل هو المقصود بالذات : فأنشأ حينئذ يشرح له القضايا ويبين أنه لم يحكم فيها الا بالعدل فاقتنع المستر سكوت وصار منه سرورا عظيما لأنه كان منصفا عارفا بقيمة الرجال على ان هؤلاء الانكليز أبعد الشعوب الأوربية عن الرسوم في القضاء وأقربهم الى اعتبار الانصاف ووجدان القاضي ولو كانت هذه البلاد محتلة من دولة أوربية أخرى لتعذر ارتقاء القضاء فيها

ومما كان يحكم فيه باجتهاده واعتقاده مسائل الربا فانه كان اذا تعذر عليه الصلح يحكم برأس المال دون الربا فيجانب المال الى الاستئناف ليحكم له بالربا . ومما كان يخالف القانون فيه حبس الشهود الذي يظهر له تزويرهم فانه كان يخرجهم من الجلسة الى الحبس ثم ان الحكومة أقرت عمله هذا وأدخلته في القانون بالتعديل الاخير . وقد أساء الادب بعض الاجانب مرة في الجلسة فأمر بحبسه فحبس ثم جاء قنصله العام الى نظارة الحقانية شاكيا من ذلك . وكلم المستشار القضائي العقيد في ذلك وقال ان هؤلاء القناصل ليس لهم عمل يشغلهم في مصر فهم يفترصون شيئا يحكون به الحكومة ونحن نحب ان لا نجعل لهم سبيلا إلى القيل والقال : فذكر له العقيد ما كان من ذلك الاجنبي في الجلسة من رفع الصوت وعدم التزام الأدب المعروف وقال إني مادمت جالسا على هذا الكرسي لتقرير العدل فأنا لا أقصر في احترامه اذ لا يمكن احترام القضاء الا بذلك الخ ما قال وكان مستحسنا عند المستشار وقد كان يحكم على الاجانب وينفذ أحكامه . من ذلك أن كثيرا من

الفلاحين كانوا اذا حكم على أحدهم بنزع أرض من يده يلجأ الى رجل أجنبي أو رجل داخل في حمايتهم فيعطيه الارض بعقد كاذب نكاية في خصمه فيمنع الاجنبي المحكومة من تنفيذ الحكم أو ترفع الدعوى إلى المحكمة المختلطة فتحكم فيها وكان من المحكوم لهم من يترك الارض للاجنبي لاعتقاده بعجزه عن انتزاعها منه في المحاكم المختلطة ومنهم من كان يأتي بنفسه في مساوي الدعاوى ويخسر فيها ماشاء الجبل ان يخسر . فعلى أمثال هؤلاء الاجانب حكان ينفذ أحكامه بالقوة متحملا تبعة التنفيذ لعلمه بأن ذلك الاجنبي المحتال لا يتجرأ على مقاضاة الحكومة في دعوى هو فيها مبطل يعجز عن إثبات دعواه

ذلك شأنه في القضاء وقد كان فيه نسيج وحده ولم يكن مشغولا فيه عما خلق لأجله من تربية الأمة فقد كان يعاقب المزورين وشهداء الزور حتى طهر كثيرا من البلاد من شرهم بعد ان استفحل وطغى سيله وكان يجتهد في الاصلاح بين أهل البيوت وذوي القربى ويبالغ في حفظ حقوق النساء وكان يطارد الفحش والفجور حتى كادت الزقازيق تطهر من رجس لبغايا أيام كان قاضيا فيها كما طهرت من الزور . ذلك أنه كان يحكم بأشد العقوبة التي يسمح له القانون بها على كل بغي تبرجت في الشوارع وعلى أعين الناس حتى كاد يجمعهن من ذوات الحجاب وقد نقل الينا عن بعض الفساق هناك انه قال مرة لبغي يعرفها: كيف الحال؟ قالت: زي الزفت واذا بقي القاضي أبو عمة (ذو العمامة) هنا فانه يقطع رزقنا من هذه البلد . عايز يرجع الدنيا لزمان سيدنا النبي: أو قالت ما معناه ان النبي ظهر ثانية

وأما براعته في تحقيق القضايا وفراسته في تمييز البريء من ذي الريبة فحدث عنهما ولا حرج وقد كان مؤيدا بالوجدان الصحيح

والالهام الصادق فان كان كغيره من البشر عرضة للخطأ في رأيه فقد كاد لايخطىء في وجدانه أو إلهامه. وسمعته يقول في بحث الكسب والاختيار انني كثيرا ما أنظر في قضية فاستخرج من التحقيق الطويل وجوها كثيرة للحكم بالادانة مثلا حتى اذا ماثلت المحاكمة وأردت النطق بالحكم تقوض كل ذلك البناء الذي كنت بنيته من وجوه الادانة وظهر لي بغتة ان المتهم بريء حتما فأحكم بالبراءة فسبحان مقلب القلوب.

عمله في الازهر

كان أول حديث دار بيني وبين الاستاذ الامام (قدس الله روحه) في مصر الحديث في إصلاح الأزهر. زرته في اليوم الثاني من وصولي إلى القاهرة بداره (في أواخر رجب سنة ١٣١٥) وبعد التحية والسلام وما يتصل بذلك من كلام كاشفته باعتقادي واعتقاد من أعرف من العقلاء فيه وانه بقية رجاء المسلمين في السعي للاصلاح وأنه بلغني انه يعمل لذلك في الأزهر فأفاض في كلام لخصته بعد مغادرة المجلس في عشر مسائل. قال (١) إن إصلاح الازهر أعظم خدمة للاسلام فان إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين وفساده فساد لهم و(٢) ان أمامه عقبات وصعوبات من غفلة المشايخ ورسوخ العادات القديمة عندهم. و(٣) ان هذا الاصلاح لا يتم إلا في زمن طويل وانه اذا رأى حال الأزهر قد صلحت قبل موته فانه يموت قرير العين ويرى نفسه سعيدا بل يرى نفسه ملكا. و(٤) انه لا يرى لدخوله في الحكومة فائدة الا الاستعانة على إصلاح الأزهر فانه لولا مكانته عند الخديو والحكومة لما كان يسمع له في الازهر كلام ولا يقبل له رأي. و(٥) انه لم يحصل شيء من الاصلاح نذكر حتى الآن و(٦) انه أراد أن يبدأ بأعمال عظيمة في الاصلاح اغتناما

للفرصة فأشير عليه بوجوب التدريج ولكن لابد له من المسايرة وإن كان يخشى أن تضيع الفرصة بما يسمونه التدريج

هذه ست مسائل في موضوع الازهر أطال القول فيها وانتقل منها الى المسائل الاخرى وأهمها تحفظه أذكياء المسلمين الذين يريدون خدمة الاسلام من طريق السياسة والى يأس من يعرفه من كبراء المسلمين من نهوضهم وتحفظهم في ذلك . وقال لي في حديث آخر ان نفسي توجهت لاصلاح الازهر منذ كنت مجاورا فيه بعد التلقي عن السيد جمال الدين وقد شرعت في ذلك فحيل بيني وبينه ثم كنت أترقب الفرص فما سنحت الا واستشرفت اليها وأقبلت عليها حتى اذا ما صدفت الموانع لويت وصبرت مترقبا فرصة أخرى . وبعد ان عدت من النفي حاولت اقناع الشيخ محمد الانبابي بشيء فلم يصادف قبولا . قلت له مرة هل لك أيها الاستاذ ان تأمر بتدريس مقدمة ابن خلدون في الأزهر ووصفت له من فوائدها ماشاء الله ان أصف فقال ان العادة لم تجر بذلك . فانتقلت به في شجون الحديث الى ذكر الشيوخ وسألته منذ كم مات الاشموني والصبان ؟ قال منذ كذا قلت انهما حديثا عهد بوفاة وهذه كتبهما تقرأ بعد ان لم تجر العادة بذلك . فسكت ولم يدخل في الحديث

وقال لي مرة أخرى ان بقاء الازهر متداعيا على حاله في هذا العصر محال فهو إما ان يعمر وإما ان يتم خرابه وانني أبذل جهد المستطيع في عمرانه فان دفعتني الصوارف الى اليأس من اصلاحه فانني لا أيأس من الاصلاح الاسلامي بل أترك الحكومة وأختار افراداً من المستعدين فأربيهم على طريقة التصوف التي ربيت عليها ليكونوا خلفا لي في خدمة الاسلام ثم

أؤلف كتابا في بيان حقيقة الازهر أمثل فيه أخلاق أهله وعقولهم ومبلغ علومهم وتأثيرهم في الوجود وأنشره باللغة العربية ولغة أفرنجية حتى يعرف المسلمون وغيرهم حقيقة هذا المكان التي يجهلها الناس حتى من أهله

لما جلس عباس باشا حلمي على كرسي الخديوية تجددت للبلاد المصرية آمال، وتوجهت الى أعمال، كان الغرض منها إزالة الاختلال، ولو كان هذا الغرض مما ترجى اصابته بسهام المصريين، لكان الفقيد يكون في طليعة العاملين، لأنه كما نعلم أنفذهم رأيا وأقواهم عزما وأخلصهم قلبا، ولكنه كان يعتقد بعد ذلك السعي الذي أشرنا اليه أن المسألة لا يمكن أن تحل الا باتفاق الدول العظام وأن الرجاء في اتفاقهم بعيد كما تبين . فأراد أن يكون حظه من حب الأمير الجديد للعمل السعي في اصلاح الأزهر بنفسه واقناع الأمير بالسعي في اصلاح المحاكم الشرعية والاوقاف لأن هذه المصالح الثلاث إسلامية محضة لا مقاومة في اصلاحها للقوة المحتلة ولا منها فاتصل بالامير وحظي عنده وكاشفه برأيه كما كاشف الحكومة بأمله في الأزهر ورجاء بما جاء من آيات الاقناع به حتى توصل الى إنشاء قانون تمهيدي للإصلاح يديره مجلس مؤلف من أكابر علماء المذاهب في الأزهر ينتخبون انتخابا وقد جعل هو وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان من أعضائه على أنهما من قبل الحكومة لا رأي لشيخ الازهر ولا للمجلس في انتخابهما ولا في اسناد المهما وكان الشيخ محمد لانباني الذي هو شيخ الأزهر لذلك العهد مريضا وقد كثرت شكوى الشيوخ من إدارته فعين الشيخ حسونة وكيلا له بعد أن أخذ عليه العهد باقامة النظام والاتفاق مع الفقيد على الاصلاح

عين الشيخ حسونة وكيلا لمشيخة الأزهر مأذونا بإدارة شؤونه لسبع

خلون من جمادى الثانية سنة ١٣١٢ وصدر الأمر العالي بتشكيل مجلس إدارة الأزهر لست خلون من رجب من تلك السنة أي في الشهر الثاني ثم كان سعي في إقناع الشيخ الانبابي بالاستقالة يكاد يكون أمرا محتما فاستقال وصدر الأمر العالي بتولية الشيخ حسونة شيخا للازهر في ٢ المحرم سنة ١٣١٣

كان الاستاذ الامام، روّح الله روحه في دار السلام، يحب أن يجري الاصلاح في الأزهر بإقناع كبار مشايخه ورضى أهله فبدأ باستمالتهم بتكثير رواتبهم فسعى لدى المستشار المالي الاسبق وطلب تعيين مبلغ من خزينة المالية لمساعدة الأزهر الذي يخرّج للحكومة كذا رجالا من القضاة الشرعيين والمفتين والمأذونين فأجيب الطلب وعين في ميزانية سنة ١٨٩٥ م مبلغ ألفا جنيه للازهر على أن تصرف بنظام معلوم لا برأي شيخ الأزهر وميله على ما كان يعهد في الأزهر مع الوعد بالزيادة على هذا المبلغ في فرصة أخرى اذا جاء بفائدة فكان هذا حجة للتقيد على وجوب وضع قانون للدرجات في الازهر ليكون لكل عالم حق معلوم يتناوله في وقته من غير تزلف إلى شيخ الجامع أو غيره. وتلا هذا القانون قانون كساوي التشريف ومرتباتها وكان الرأي فيها من قبل لشيخ الجامع يعطي من يشاء ويمنع من يشاء فصارت تعطى لمستحقها من غير سعي ولا تزلف فسر الشيوخ بذلك سرورا عظيما

بعد هذا وجه انتقيد عنايته في المجلس الى نظام التدريس والامتحان وبيان وسائل العلوم ومقاصدها وجعل التدريس فيها على طريق توصل الى الغاية منها وبعد اجتماع ومذاكرات طويلة وضع القانون لذلك واحتيج في تنفيذه الى المال فلجأ التقييد الى اريحية الأمير فصدر الأمر لديوان

الاوقاف بصرف ٣٣٧٤ جنيها للأزهر بينت مصارفها ومنها ٤٦٤ جنيها لانشاء دار الكتب الازهرية . ثم وضع نظام آخر لتوزيع المرتبات بالعدل

أما نظام التدريس واختيار كتب العلوم فهو الذي أحب الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ان يجعله برأي كبار الشيوخ ليسهل تنفيذه بالرغبة ، ولا يثقل عليهم إلزامهم به من جانب الثورة ، وليعود أهل هذا المكان على البحث في الأمور المهمة ، والتعاون على ما ينفع الأمة ، فوضع مشروع نظام التدريس واختيار الكتب واقترح ان تؤلف لجنة من كبار الشيوخ للبحث فيها واقرار ما يرونه نافعا فألفت اللجنة من أكثر من ثلاثين عالما وجعل الشيخ سليم البشري أحد أعضاء مجلس الادارة رئيسا لها . ثم انتخب منها لجنة للبحث في كل فرع من الشروع والبداءة فيما فيه للجنة الكبرى وكانت هذه اللجنة مؤلفة من بضعة عشر هم أكابر شيوخ الازهر وضم اليهم الاستاذ الامام من قبل مجلس الادارة وبعد ان اتمت هذه اللجنة عملها قدمته إلى اللجنة الكبرى فأقرته هذه بعد تحوير قليل لا يذكر . وكانت مشيخة الازهر قد أسندت يومئذ الى الشيخ سليم البشري الذي أوقف كل ما كان المجلس شرع فيه فأوقف أيضا مشروع اصلاح التدريس بل كاد المجلس يقرر الغاءه بالاتفاق مع رئيسه الشيخ سليم ثم انه لا ينفذه ولم يكن القصد من ذلك الا احباط مسعى الاستاذ الامام وابقاء القديم على حاله ولقد كان قادرا على الالزام بالتنفيذ بطلبه وسعيا من الحكومة ولكنه لم يكن يجب أن يكون للحكومة تصرف في الأزهر بل ان يبقى مستقلا بصالح أهله برضى واقتناع وهل بقي كذلك بعده ؟ الله أعلم والايام تظهر ما يعمل

وكان من الاصلاح الذي تم في الازهر بسعيه رحمه الله تعيين طيب الازهر

وصيدلية (أجزاخانه) خاصة به في نفس الجامع وانارة المسجد بالغاز البخاري وانشاء الميضأة على الاصول الصحية وتجديد مبان صحية في الازبقية وغير ذلك مما نفصله في التاريخ. ومن شاء ان يطلع على ذلك بالتفصيل التام، فليرجع الى كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر) الذي طبع في هذا العام (١)

وقد انتقل الازهر بهذا الاصلاح من خلل عام الى شيء من النظام، ومن حالك الدجور الى بصيص من النور، ولم يتم عمل من الاعمال على ما كان يحب رحمه الله تعالى. ولكن الاصلاح الحقيقي الذي كان روحا محييا ونورا مبصرا فهو ما كان يلقيه من دروس التوحيد والتفسير والبلاغة والمنطق فهذه الدروس هي التي حولت نفوسا كثيرة عن السبيل المتفرقة الى سبيل الله وصراطه وهي محل الرجاء في هذا المكان، (للسيرة بقية)

مرثية محمد حافظ اقتدى ابراهيم في الاستاذ الامام رضي الله عنه

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على اياصه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجى ... على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت اخشى عادي الموت قبله ... فأصبحت أخشى ان تطول حياتي
فوالهفي والقبر بيني وبينه ... على نظرة من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعا ... كأني حيال القبر في عرفات
لقد جهلوا قدر الامام فانزلوا ... نجاليده في موحش بفلاة(٢)
ولو أخرجوا بالمسجدين لانزلوا ... بخير بقاع الارض خير رفات

(١) هو تاريخ يبين ما كان عليه الازهر قبل الاصلاح وما صار اليه بعده صورة ومعنى وصفحاته ١٢٤ وثمن النسخة منه ٤ قروش واجرة البريد قرش واحد ويطلب من ادارة المنار ومن بعض المكاتب بمصر (٢) نجاليد الانسان جثمانه

تباركت هذا الدين دين محمد أيترك في الدنيا بغير حماة
تباركت هذا عالم الشرق قد قضى ولانت قناة الدين للغمرات

***

زرعت لنا زرعا فأخرج شطأه وبنت ولما نجتن الثمرات
فواعجا له ألا يصيب موفقا يشارفه والارض غير موات
مددنا إلى (الأعلام) بعدك راحنا فردت الى اعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغي سواك عيوننا فسدن وآثرن العمى شرقات
وآذوك في ذات الاله وأنكروا مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الاذى في جانب الله لذة ورحت ولم تهمم له بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبا في غياهب ومعرفة في أنفس نكرات
ابنت لنا التنزيل حكما وحكمة وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجى فاطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفت لهاتو وريبان وقفة امدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله في كل موقف فخافك أهل الشك والنزغات
وكم لك في إغفاءة الفجر يقظة نفضت عليها لذة الرجعات
ووليت شطر البيت وجهك خاليا تناجي اله البيت في الظلوات
وكم ليلة عانقت في جوفها الكرى ونبهت فيها صادق العزمات
وارصدت للباغي على دين أحمد شباة يراع ساهر النفثات
اذا مس حد الطرس فاض جبينه باسطار نور باهر اللمعات
كأن قرار الكهرباء بشقه يريك سناه أيسر اللمسات

***

فيا سنة مرت بأعواد نعشه ... لانت علينا أشأم السنوات
حطمت لنا سيفا وعطلت منبرا ... واذويت روضا ناضر الزهرات
واطفأت نبراسا واشعلت اتقدا ... على جمرات الحزن منطويات
رأى في لياليك النجوم ما رأى ... فأنذرنا بالويل والعثرات
ونبأه علم النجوم بحادث ... تيبت له الابراج منطويات
رمى السرطان الليث والليث خادر ... وربّ ضعيف نافذ الرميات
فاودى به ختلا فمال الى الثرى ... ومالت له الاجرام منحرفات
وشاعت تعازي الشهب بالسمع بينها ... عن النير الهاوي الى القلوات
مشى نعشه يختال عجبا بربه ... ويخطر بين اللمس والقبلات
تكاد الدموع الجاريات تقله ... وتدفعه الانفاس مستعرات
بكى الشرق فارتجت له الارض رجة ... وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففي الهند محزون وفي الصين جازع ... وفي مصر باك دائم الحسرات
وفي الشام مفجوع وفي الفرس نادب ... وفي تونس ماشئت من زفرات
بكى عالمُ الاسلام عالم عصره ... سراج الدياجي هادم الشبهات
ملاذ عياييل ثمال أرامل ... غياث ذوي عدم إمام هداة
فلا تعصبوا للناس تمثال عبده ... وان كان ذكرى حكمة وثبات
فاني لاخشى ان يضلوا فيوشكوا ... الى نور هذا الوجه بالسجدات
فياويح للشورى اذا جد جدها ... وطاشت بها الآراء مشتجرات
وياويح للفتيا اذا قيل من لها ... وياويح للخيرات والصدقات
بكينا على فرد وان بكاءنا ... على أنفس لله منقطعات
تعهدها فضل الامام وحاطها ... باحسانه والدهر غير موات

فيا منزلا في عين شمس أظلني ... وأرغم حسادي وغم عداتي
دعائمه التقوى وآساسه الهدى ... وفيه الأيادي موضح اللبنات
عليك سلام الله مالك موحشا ... عبوس المغاني مقفر العرصات
لقد كنت مقصود الجوانب آهلا ... تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابة ارزاق ومهبط حكمة ... ومطلع أنوار ومكنز عظات

﴿ المنار الاسلامي واللواء الوطني ﴾

بين المنار الاسلامي وجريدة اللواء الوطنية تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامي ويثبت ان المسلمين لا يرتقون الا بترك البدع ورجوعهم في الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية في أمر الدنيا. ويدخل في الاول ان كل مسلم أخ لكل مسلم وفي الثاني ان أهل كل قطر من الاقطار ينبغي لهم التعاون على صيانته لا يفرق بينهم في ذلك دين ولا مذهب. وجريدة اللواء لا رأي لها في الدين والاصلاح يمسها ولكن لها وطنية عمياء من معناها انه يجب على كل مصري ان يتعصب على كل من يقيم في مصر من غير أهلها الاقدمين وان كان مسلما وعلى كل مصري مسلم ان يتعصب على كل مصري ليس بمسلم وهذا مما ينقضه المنار ولذلك ترى جريدة اللواء تقدح في المنار وقلما نطالع على شيء من طعنها. وقد صارت في هذه السنة تسند الطعن الى بعض الاقطار إما اختلاقا وإما لأن مثل أحمد المنوفي كتب اليها بذلك (هذا الرجل من باعة الكتب كالذين يطوفون بالازبكية وسافر الى كلكتة فصار امام مسجد بها) فتسمي ذلك صوت اللواء في الهند!! . وقد يجيئها ما يفند مطاعنها فلا تنشره كما ترى في الرسالة الآتية التي كتب الينا مرسلها من سنغافورة صورتها وكلفنا نشرها ان لم نعمر في اللواء وهي

عن سنغافورة في ٢٧ جماد أول سنة ١٣٢٣ الى مصر القاهرة.

حضرة الفاضل سعادتلو أفندم صاحب اللواء دام علاه

بعد السلام قد اطلعت على ما كتبه في جريدتكم القراء في العدد الـ ١٧٥ حضرة الفاضل الهندي المولوي عبد المجيد المرادآبادي أحد مدرسي العلم الشريف بكلكتا فأسفت كثيرا لاني لم أكن طالعت شيئاً من أفكار علماء الهند قبل في هذا الموضوع